منزل ريفي

يملكُ بعض البشر، قصورا ودورا وأموالا لا حصر لها و لكنّ السّعادة بعيدة عنهم لأنّهم ظنّوا أنفسهم يشترونها بالمال و غاب عن أذهانهم أنّ السّعادة حالة نفسيّة تنبع من الرّضا بالقليل فالقناعة كنز لا يفنى ...

***

إن جمال المسكن في نظافته و ترتيبه و إن كان أثاثه بسيطا متواضعا.

1. ألحّ عليّ العمّ "خليل" أن أصاحبه إلى بيته ليسقيني الشّايَ الأخضرَ و ليريني ابنه الصّغيرَ، فإنّه لاشكّ عائد من المدرسة. فسلكنا ممرّا ضيّقا عند مدخل البيت، و قد سبقنا كلب يريد أن يُخبر أهله بقدومنا. وتركنا شِمالنَا الفرن و حظيرةَ المواشي و الطُّيورِ، و انحرفنا إلى اليمينِ حيث تقع مشمشة عظيمة مسّها الرّبيع فتألّقت أغصانها (2) الحمرُ بثوب من الأزهارِ البيضِ النّاصعةِ.
2. و دخلنا الكوخ . فشاهدتُ ملامِحَ الفقرِ و ضعفَ الحالِ لكن لمستُ من آثار النّظافَةِ و حُسن التّرتيب ما سرّني و أثار إعجابِي :فلا كراسيَ و لا أرائكَ بل حصيرٌ عريضٌ لا وسخَ عليه و لا غُبارَ كأنّهُ غُسلَ و نُفضَ قريبا، عليه مسندان خشنانِ أبيضانِ اتّكآ إلى الحائط كأنّهما مهيّئان لزائر مُنتظَر. و يُواجهُ الداخلُ على مقربةٍ من الرّكن الأيمن صندوقا مرّتْ عليه الأيّام ومسحتهُ الأيدي ، فنَصَلَ لونُهُ و غابَ زُخرفُهُ (3) لكن احتفظَ ببهجةٍ تراها على كلِّ جديد. أمَّا الزّاويَةُ التي يكوّنُها الرّكن، فقد شُدَّ فيها حبلٌ يُسمُّونهُ " الحمّالة "، رَتَّبَت الأسرةُ فوقه ملابسَهَا التي تُبقيها عادة في مُتناول اليد لكثرة استعمالها. وفي ركن آخر من البيت أوان من نُحاس و موقدُ نفطٍ و سفطٌ (4) فيه خبزٌ و أزيارٌ كثيرة لست أدري ما فيها.

www.madrassatii.com

3. و انقضتْ فترة التّرحيب و شربنا الشاي ثم دخل علينا غُلام في السّابعة من عُمُره فحين أهلَّ من الباب هَتَفَ به أبوه : " أهلا بابني الصّغير! سلّم على ضيفنا " . ثم التفت إليَّ و قالَ في إعجاب : " إنّه ليقطع كيلو مترات كل يوم ليذهبَ إلى المدرسة و يعودَ منها " . و انحنى الطفلُ عليَّ ليقبِّلَ يَدِي ، ثم عرَّجَ (5) على أبيه فأعطاهُ يُمناهُ. و ابتعد عنَّا بعد ذلك فحطَّ عن كتفه حمائل كيس من القماش جعله كالحقيبة و حشر فيه جميع أدواته، ثم شدّ الكيس إلى مسمار دُقَّ في الحائط، و عاد إلى جانبي ، تفيضُ عيناه بالأنس و البراءة.

محمد عبد الحليم عبد الله

"شمس الخريف" (بتصرف)

الشرح :

1- مسّها الربيع : كلّما لمس الربيع الأرض و الأشجار ، بثّ فيها الخضرة و الأنوار.

2- تألّقت الأغصان : تزيّنت و استضاءت ولمعت بأزهارها.

3- نصل لونه و غاب زخرفه : أصبح لونه فاترا و ذهب بريقه و أزيله زينته بكثرة الاستعمال.

4- السّفط : وعاء من قضبان الشجر و نحوها توضع فيه الأشياء كالخبز و الفاكهة و الثياب.

5- عرّج على أبيه : اتّجه نحوه.

www.madrassatii.com